

## نشوة الضحك ومتعة البسمة

حين ينظر إنسان أمامه بتركيز فيما تعكس نظرتة جدية واضحة على الوجه، يكون الإنسان المعني في تلك اللحظة ينظر في عين المستقبل، محاولاً قراءة رسالته الخفية، ومتابعة كل حركة من حركاته كي لا يفوته قطار الزمن. إن قطار الزمن يسارع الخطى مع كل يوم يمر، فيما يختصر فترة انتظاره في كل محطة يمر عليها ويتوقف فيها لحظات من الزمن السرمدي. إن من يفوته قطار الزمن يجد نفسه واقفاً في مكان غريب عن العالم المحيط به، في حالة قلق يعاني الوحدة والإحباط، وربما الندم أيضاً.

حين يضحك إنسان من قلبه، فإنه يضحك مع الحاضر، ومع من هو حاضر معه في تلك اللحظة... يضحك مستمتعاً بما وفره له الحاضر ورفاق الحاضر من نشوة وسرور وسعادة. وحتى حين تكون السعادة مؤقتة، فإن شهوتها التي تطبعها على جدران القلب تعيش ساعات وربما سنوات تطول، ما يجعلها تترك أثراً عميقة في الوجدان. وهذا يجعل الإنسان المعني يشعر بالرضا عن نفسه، والرضا عن أصدقائه، والرضا عن الأجواء الاجتماعية والطبيعية التي تجمعهم بهم. وهذا من شأنه أن يقود الإنسان المعني إلى التطلع بأمل نحو غد أفضل، وفرصة أجمل وأكثر عطاء ومتعة.

أما حين يقف إنسان وحيداً يبتسم على ناصية شارع عام، أو يجلس تحت شجرة في حديقة مبتسماً من دون ان يراه أحد، وحين يستلقي في سريره ينظر إلى سقف الغرفة مستمتعاً بالنور القادم من إحدى نوافذها، فإن الإنسان المعني يبتسم مع الماضي، مع ذكريات جميلة جاءت وسافرت مع قطار الالعودة. وحين يغمض إنسان عينيه ويتنهد قليلاً وعلى وجهه ابتسامة ساحرة، فإنه يقوم في تلك اللحظة باستعطاف الذكريات المعتقة كي تعود حية ولو لدقائق معدودة، واثقاً أنها لن تعود أبداً. مع ذلك، كل إنسان يحن لماضيه أو لبعض أيام وسنوات ماضيه، وذلك لأن الحنين للماضي عمل سحري ينعش الروح، ويحول دون فناء الذكريات واندثارها. فالذكريات، مهما تقادمت، لا تتخلف عن تلبية النداء حين يستغيث بها صاحبها، تأتي على شكل خيال يمر بسرعة، يحمل معه المتعة والبسمة، يطرد الحزن من القلب والعين، ويخفف آلام الحياة ومعاناتها.

وحين يقف إنسان على عتبات بيته متأملاً، يطل على شارع عام دون أن يتفاعل مع حركة ذلك الشارع ونبض الحياة فيه، وحين يسير في أزقة حي قديم دون أن يعرف إلى أين هو ذاهب، وحين يستلقي على سريره في حالة هدوء ينظر إلى سقف الغرفة دون أن ينتبه إلى النور الذي يتسلل من الشباك ويغمر الغرفة بأطيافه، فإن الإنسان المعني يكون في حالة ضياع، يعيش تائهاً في عالم لا يمت للواقع بصلة. وهذا يجعل الإنسان

المعني عاجز عن التفكير في كيفية انتشار نفسه من الضياع، وعاجز عن إعادة اكتشاف ذاته من جديد، فيما يشجعه على الاستسلام لواقع خيالي لا يسكنه سوى الفراغ.

لذلك كان على كل إنسان أن يضحك من قلبه طويلاً حين يكون الضحك مُتاحاً، وأن يبتسم كلما وجد نفسه وحيداً يستلهم ذكريات الأمس الجميلة لتقوم بمناجاة قلبه وإسعاد روحه. كما إن عليه أن يركز على كل شيء يفعله، وأن يتفحص كل فرصة تمر أمامه أو تعترض طريقه دون أن يهمل أي شيء من التفاصيل، فالحياة رحلة مثيرة في المجهول، تحمل معها وعلى ضفاف أنهارها وشواطئ بحيراتها وقمم جبالها وقعر وديانها مفاجآت بلا عدد، بعضها سار وبعضها حزين. ولما كان الفرح والحزن وجهين لحياة واحدة، فإن على كل إنسان أن يعيش حياته بكل ما فيها من مفاجآت، وأن يتمتع بها ويتعلم من تجاربها بقدر الإمكان، وأن يحتضن أطياف سعادتها وتعاستها بفرحة المشتاق ونشوة العاشق.

[www.yazour.com](http://www.yazour.com)

د. محمد ربيع